اعمال نهب وسلب في تلك المنطقة دون ان يشرعوا في اي عمل عسكري . » (٩)

وفي اليوم الحادي عشر من تشرين الثاني قدم وفد من وطنيي جديدة مرجعيون الى حاصبيا ، ليعرض فتح بلدتهم لجيش الثورة ويعلن ان الفرنسيين قد اخلوها عندما بلغهم وصول الثائرين الى حاصبيا . فبناء عليه ، قرر المجاهدون ارسال حمزة الدرويش على رأس سرية من الثوار الى مرجعيون . « وعندما وصل الى مفرق الطريق الموصلة الى قرية كوكبا ، اعترضه وفد من الاهالي برئاسة كاهن القرية ، فدعاه الى تناول الغداء في القرية ، فلبى حمزة الدرويش الدعوة غير ان اهالي قرية كوكبا كانوا منشقين شقين ، منهم قسم موال للسلطات الفرنسية وقد امدته بالسلاح والعتاد ، وسوست له ان يقاوم الثوار . والقسم الثاني كان مواليا للثوار وهو الذي دعاهم الى تناول الطعام .

ولما وصل حمزة الدرويش الى القرية ، قابله القسم المعادي في الاستحكامات بالرصاص ، مخر ثلاثة من رجاله قتلى ، فنادى حمزة بأعلى صوته : « **يا قوم لا تطلقوا علينا الرصاص ، لاننا ما اتينا هذه البلاد لمحاربتكم بل لمحاربة الفرنسيين المستعمرين واني اقسم لكم بشرف الدروز وشرف هذه الثورة المباركة اننا لا نمسكم بسوء واننا نعتبر هؤلاء القتلى فداء عن الوطن ، فكفوا عن الرمي ، وتأكدوا انكم اذا اردتم مقاومتنا ، انكم لخاسرون** » (١٠)

فلم يلبوا طلبه ، بل داوموا على اطلاق الرصاص على حمزة وعلى الجموع القادمة . وعن الحريق الذي اضرمه الثوار في كوكبا كتب منير الريس : « فأغار عليها الفرسان ، وزحف وراءهم المشاة الى القرية ، لا يأبهون لوابل الرصاص المنهمر عليهم ، حتى دخلوها عنوة ، واضرموا النيران في منازلها ، وفر المعتدون كالارانب ، مخلفين وراءهم النساء والاطفال والشيوخ ... وكانت خسائر كوكبا بالنفوس كبيرة ايضا من رصاص المدافعين والمهاجمين ، وقتل كاهن القرية الوطني الذي اراد ان يثبت للمجاهدين ان النصارى وطنيون لا يتخلفون عن تأييد الثورة ، واستقبال الثائرين الذين جاءوا لتحرير البلاد من ربقة الاستعمار . وعاد الثوار بعد حرق « كوكبا » الى حاصبيا ، حتى لا يساء تفسير حرق كوكبا ، ولا تتعرض الحملة لصدام اخر في احدى القرى التي تمر بها في طريقها الى جديدة مرجعيون . »(١١)

وعاد الثوار الى حاصبيا ، وبعد بضعة ايام سارت قوة جديدة بقيادة حمزة الدرويش ونزيه العظم قاصدة الجديدة ، ولما بلغت قرية ابل السقي ، اعترضها اهل هذه القرية وغالبيتهم من المسيحيين ، ودعوا المجاهدين الى تناول الطعام والمبيت في بلدتهم . اما الفرنسيون فكانوا قد استقدموا الى مرجعيون عصابة بطرس وغطاس كرم (وهي احدى العصابات المسلحة التي شكلها الفرنسيون من بين موارنة جبل لبنان) . فارسل بطرس كرم الى ابل السقي كتابا موجها الى زعماء المجاهدين وضمنه الوعيد والتهديد والاستفزاز الطائفي . وختم كرم انذاره بوجوب انسحاب الثوار من ابل السقي وعدم التعرض لجديدة مرجعيون . فارسل حمزة الدرويش كتابا جوابيا الى بطرس كرم، ومما جاء فيه : « **ان ثورتهم وطنية ، وليست دينية ، وهم حريصون على الا يثيرهم العملاء ، ولا يجروهم الى تلويث ايديهم بدم اخوتهم المسيحيين ، لذلك عدلوا عن المجيء الى جديده مرجعيون ، وسيغادرون ابل السقي في الصباح ليثبتوا للملأ اجمع انهم يحافظون على وعودهم وعهودهم .** » (١٢)

وعادت السرية الى حاصبيا حيث عقد المجاهدون اجتماعا في اليوم السادس عشر من شهر تشرين الثاني ، قرروا فيه عدم التعرض « للبنان الصغير » ، وان ينحصر نشاطهم في المناطق التي سلخت من دمشق وضمت قسرا الى « لبنان الكبير » وعلى الاثر نسفوا جسر الخردلة على نهر الليطاني . ووصل وفد من « النبطية وجبل عامل الى حاصبيا ،